بلبل الشحر الصداح

الشاعر والمؤرخ
عبد الله بن محمد باحسن

إعداد
عبد الله صالح حداد

بلبل الشحر الصداح

الشاعر والمؤرخ

عبد اللّه بن محمد باحسن

إعداد

عبد الله صالح حداد

تم نقل محتويات هذا البحث
من الملحق الثقافي لصحيفة شبام اليمنية ،
الملحق الثقافي العدد (٢٣) أكتوبر ٢٠٠٣م ،
المكلا - محافظة حضرموت
الجمهورية اليمنية

التنفيذ الطباعي
مطابــــع الرســالة
الحامي - ت : ٠٥٣٤١١٨٢

٢٠٢٣م

عبد الله بن محمد باحسن

قال عنه الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف: (هـذا العلم الشامخ ليس مجهولاً للكثير من أبناء هذه المدينة العريقة، وليس بالمجهول في أقاليم اليمن الأخرى، ولا فـي جهات عالمية أخرى كان اليمنيون المهاجرون يرتادونها، إنه الـــفنان الذي اشتهر بكنية أسرته باحسن، الفقيه القاضي الأديب المؤرخ الملحن الموسيقار عبد الله بن محمد باحسن).

وهـو من أهالي مدينة الشحر، ولد بها عام ١٨٦١م وتوفي بها في عام ١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٨م، وقبر بقبة الشيخ عبد الله محمد باهارون المجاورة لمسجده المشهور بالشحر، وينـسب إلى آل جمل الليل العلويين وهم آل محمد الشهير بـ (جمل الليل) بن حسن (المعلم) إلى آخر النسب، وسبب اللقب أن جده كان يتخذ الليل كله صلاة فسمي جمل الليل، أي أنه يتخذ الليل جملاً يركبه حتى الفجر، وجـده الخامس سالم بـــن عبد الله بن محمد هو من يدير الشحر وتوفي بها سنة ١٠٩٩هـ الموافق ١٦٨٧م، وإذا عرف الناس هذه الصفات الحميدة التي تحلى بها في حياته ونال بها المجد

والشهرة وأنها كانت بجده واجتهاده، فإن ذلك لـــن يتأتى إلا بالتلقي على أيدي العلماء والمربين! فمن الذين على أيديهم تلقى مغارسه الأولى؟

إن دراسة هذا الجانب تعني دراسة الطور الأول لثقافة الرجل على أن دراسة نتاجاته الأدبية والتاريخية ستكون المرآة التي بواسطتها نستشف ثقافته فـي إطارها الأكمل والتي لابد وأن تنعكس على نشاطه الثقافي والاجتماعي في بيئته التي عاش فيها.

وأول ما يلـفت نظرنا العبارة التي وردت في ترجمته بكتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) لعبد الله بـن محمد السقاف: (أنه قرأ القرآن في إحدى المعلمات "الكتّاب" فـي الشحر كما أحكم الخط وأتقنه كتابة وفهماً) ومـا إن يشب حتى يقول: (وعلى علماء الشحر وصوفيتها ملتقطاته) لكنه يغض الطرف عـن ذكر هؤلاء الذين كانت على أيديهم مغارس النجابة.

على أن العلامة عبد الله سالم عيديد كان شيخه الدائم، وكان أحد علماء الشحر وتوفي بها عام ١٨٨٨م، حيث كان يتبعه وهـو يلقي دروساً

من علومه في مساجدها وخاصة مسجدي الشيخ الغالبي والشيخ أحمد، وعليه تخرج في أنواع شتى من العلوم فقهاً وحديثاً وتفسيراً ونحواً وغيرها وقد رثاه بقصيدة منها:

له الجاه والقدر الرفيع على الــورى　　　وكم ذا له فضل يضيق على العد
إذا جاء أهـل الفخر يعلون فخرهم　　　علونا به فخراً على القبل والبعد

وقد ذكر باحسن نفسه عدداً من معلميه بالشحر منهم:

* والده محمد بن عبد الله باحسن الذي لا نعرف الكثير عنه إلا أنه توفي على السفينة وهـو في أوبته مـــن مهجره بأرض الصومال ودفن بمدينة شقرة.

* محمد بن أحمد بن محمد الشاطري ويكفينا منه قوله عنه العلامة.

* ناصر بن صالح بن الشيخ علي الذي قال عنه ((قاضي الشحر العلامة صاحب مدرسة السوق المـعروفة اليوم بمسجد المدرسة)).

* محمد بن سالم باطويح، وصفه بقوله العلامة النحوي وهو صوفي مغال.

كما عدد من شيوخه ومعلميه ثلاثة آخرين ليسوا من أهل مدينته لكنه قال: (إنهم مكثوا فترات طويله بالشحر وقد درست عليهم في تلك الفترات) وأولهم العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور، وكان كثير التردد على الشحر وقد ساهم بقسط وافر في نجاح مدرسة مكارم الأخلاق الأهلية بالشحر عند افتتاحها في ١٤ نوفمبر ١٩١٨م، قال باحسن إنه قرأ عليه ديوان ابن معتوق وشرح المحلى على المنهاج، توفي بتريم عام ١٩٢٢م، وقد مدحه بقصيدة جميلة هي في ديوانه، منها:

تفجرت منه أنهار العلوم فيا   لله من كوكب وقاد في الظلم

وثانيهم العلامة عبد القادر بن أحمد بن طاهر قال عنه: (إنه كتب الكثير من قصائده، ومنها قصيدة في والده محمد، وإن له ديوان شعر).

وثالثهم القاضي عبد الله بن محسن السقاف وهو من أهالي سيئون توفي بها عام ١٨٩٦م وهو قاض وابن قاض، وروى باحسن طرفاً من حياته في سلك القضاء واختلافه في بعض المسائل مع قاضي الشحر العلامة ناصر بن الشيخ علي وكان شاعراً.

ونضيف بأنه تلقى الفقه والتصوف على يد العالم سالم بن محمد باوزير، وهو من غيل باوزير، وقد تدير الشحر حتى قبيل وفاته كما يذكر باحسن في تاريخه.

وكان عبد الله باحسن قد توجه إلى سيئون ليدرس برباط العالم الصوفي الشاعر علي بن محمد الحبشي الذي افتتحه رسمياً في عام ١٨٧٨م، ونحن في الحقيقة نعرف الكثير عن المعهد وصاحبه الذي يمكننا أن نعطيه صفة العالم دون خوف أو وجل، ويكفي باحسن فخراً أن يكون الحبشي أستاذه وشيخه، وفي هذا المعهد وجد الأساتذة والطلاب وتلقى فيه المزيد من العلم والمعرفة، ووجد العديد من الأصدقاء مختلفي الميول والاهتمامات في شتى صنوف العلم والمعرفة فكانت أولى المفاتيح لثقافته العامة، وقد كتب باحسن قصيدة جميلة في شيخه الحبشي، وهي التي نسبها الأستاذ عمر بن ثعلب خطأ ليزيد بن معاوية والتي مطلعها:

جاءت تجر ذيول التيه والعجب　　هيفاء مياسة الأعطاف كالقضب

وإذا كان هذا هو دور التلمذة فإن باحسن قد أعتمد التثقيف الذاتي ونتاجاته الأدبية خير دليل لنا على سعة اطلاعه وعمق ثقافته في أكثر من

علم، ولعل تاريخه المسمى (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) ـ مخطوط ـ ينبئنا عن بغيتنا، حيث نجد تراجم للعديد من العلماء ورجال الدين والقضاة والخطباء والوعاظ والقادة ورؤساء الدول والوجهاء والتجار وغيرهم، رغم أن التركيز على علماء ومشايخ مسقط رأسه مدينة الشحر، وإذا كان ليس في إمكاننا أن نلم بكل من وردت أسمائهم في الكتاب أو تعذرنا بأن ذكر هؤلاء لا يدل على قراءة مؤلفاتهم فإن الكتاب برمته يعطينا صورة صادقة على مستوى علمه وثقافته وسعة اطلاعه في التاريخ واللغة والأدب والشعر وعلوم الدين، وعليه فإننا نقتصر على المراجع التي رجع إليها وهو يحبر كتابه حيث يقول في مقدمته: (فنقلت حينئذ ما تيسر لي جمعه من الكتب المعتمدة مثل: المشرع الروي لمحمد الشلّي، والنور السافر لعبد القادر العيدروس، وكنز البراهين لشيخ الجفري، والجوهر الشاف لعبد الرحمن الخطيب، وشرح العينية لأحمد الحبشي، وغاية القصد والمراد لمحمد بن سميط، وبهجة الفؤاد وبغية المراد له، وعقد اليواقيت لعيدروس الحبشي، هذا مع ما حصلته من كتب متفرقة وما استفدته وتلقيته عن الثقات الأجواد على سبيل البحث بحسب الاجتهاد) ولن نقف طويلاً عند تاريخه فمن أراد الاستزادة فعليه الاطلاع عليه، وعلى ديوانه المخطوط.

إن معرفته بالكتب وأصحابها واضح العلامات بين القسمات، فقد أنبأنا أنه على اطلاع على العديد منها والتي حازت على إعجابه لفوائدها الجمة، وكتب عنها القصائد التي تدلنا على أهميتها، فعلى إثر قراءته لكتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري، أعجبه أحد الأبيات الشعرية الواردة فيه فكتب على وزنه ورويه قصيدة، وعندما قرأ كتاب (الفتاوى) لابن حجر الهيتمي، كتب قصيدة فيه، منها قوله:

هذي فتاوى شيخنا الحبر الذي　　خاض بحور العلم باستمرار

تنقل له الاقدام سعياً عندما　　تطلب جواهره لمن هو شاري

ولقد أشار في قصيدة أخرى إلى أهمية الكتاب باعتباره مصدر العلوم والثقافة وهو المرجع الأساسي لصحة المعلومات ومنها:

هذا الزمان الذي فيه من جا رقص

كلين يلقى قياسه زاد وإلا نقص

تغلطت فيه بين الناس جمع الحصص

معاد حد لي يفند أو يقع ع البخص

زمان أعور كم خاتم ولا فيه فص

أهله يروجون وسط البحر مثل الرمص

لعاد تنكر على من عض والا قبص

كله سلك فيه خذ تحقيق مني بنص

كلين يحكي و(الكتب) في الرصص

وكان يحث أهل مدينته على طلب العلم وحب التعليم، فمن قصيدة له قوله:

اطلبوا العلم يا اخواني وشيدوا مبأنيه   وانشروا رايته فالفوز في العاقبة فيه

إلى قوله:

ذا وفي الشحر هذا الوقت بأنت مخافيه   وانتشر مختصر بافضل وأظهر معانيه

والمهذب ومنهاج النواوي وتنبيه   زان وادي سعاد آلاف الله يمليه

بالعلوم التي أهله دواما ترقيه   كي يرى في جميع القطر ماشي يدانيه

وقد كتب مرثية غراء في العلامة محمد عمر بن سلم (١٢٧٤-١٣٢٩هـ) (١٨٥٧-١٩١١م) صاحب رباط الغيل فقد كان زميله بمدرسة الشيخ ناصر ويكبره بأربع سنوات، لكن بن سلم درس بالأزهر، وتوفي بالغيل، ومنها قوله:

في نصرة الدين الحقيقي دأبه   حتى غدا يزهو به الإسلام

إلى قوله:

من ذا يقوم بمثله بين الورى　　　يسعى على نشر العلوم دوام

فلتبكه كتب العلوم بسيطها　　　ووجيزها فـقـد علاها قتام

ولعل أبسط ما يقال: إن معارضاته للقصائد وتذييلها وتشطيرها وتخميسها، وغير ذلك مما عرف عـند أكثر شعراء عصره، طريقة سلكها الشاعر باحسن، وهي على الأقل، إذا لم نحسن الظن بالقصائد المعارة، تدل على أن الأديب على اطلاع بما يدور في عالم الأدب والشعر والفكر، سواء كـان مما قيل حديثاً أم كان استدعاء لقصائد شعراء سابقين، فهي بلا شك تأتي لأسباب وجيهة عنده، يدل عليها عصره وما يدور فيه أو من خلال ما تطرحه نفس القصائد من قضايا وأفكار وأهداف، ولـربما أبدل غرض قصيدته، فـقـد عارض قصيدة الشاعر الصوفي جابر رزق المشهورة في الأوساط الصوفية:

بصاحب التاج والمعراج مول العلامة وآله خير آل

وهي مديحة في النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلها باحسن غزلية:

قال المعنى الشجي من لا تهنى منامه في دائر العشق حال

وعارض قصيدتين أخريتين له، منها:

ياحبيب الـقـلـب مـاهذا يكون   إن دمع العين عا خدي هتون

مـثـل العـيون ....   قـد فنا صبري وقل الاحتيال

فقال باحسن معارضاً:

شـرفـوني سادتي بالملتـقى   إن لذع الحب ماله من رقى

يـا اهـل الـبقاء ....   أي وربي إنـه يورث هيـــام

وعارض الآنسي الابن الصنعانية:

يا جزيل العطاء نسألك حسن الختام فرج الهم واكشف مضيقه

فقال باحسن:

قمري البأن غـرد حـسان النظام حرك القلب واكشف حقيقه

كما عجز وصدر قصيدة عمر بن الفارض (غيري على السلوان قادر) وذيل بيتيه الشهيرين:

وحـــياة أشـواقي إلـيك وحـرمة الصبر الجميـــل

ما استحسنت عيني سـواك ولا صبوت إلى خليل

وعجز وصدر قصيدة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس وحاكاه في قصيدته التي ذكر فيها نسبه، وعجز قصيدة الشاعر الصوفي أبوبكر العيدروس العدني، وخمس قصيدة الصوفي محمد علي السودي، وغير هذا، قال ابن عبيد الله في (إدام القوت): (وقد أعانه على الإجادة في شعره أنه قلما سمع قصيدة أعجبته إلا عارضها ونسج على منوالها).

إن القراءة المتأنية لقصائد ديوان الشاعر باحسن تنبئك عن علم الرجل وسعة ثقافته وحجم قاموسه وعمق أفكاره، أننا نلمس تأثره بالقرآن، بل والتراث الاسلامي بأجمعه، وقضايا التراث الشعبي بجميع عناصره من مثل وحكمة وحكاية وأسطورة وغيرها.

ونحن هنا محتاجون لأن نتذكر قصيدة الشاعر حسين أبوبكر المحضار التي ألقاها في الاحتفال بالذكرى الخمسين لرحيل باحسن والذي أقيم بالشحر مساء يوم السبت ٢٤/ ١٢/ ١٩٧٧م وتعليق الأستاذ بامطرف عليها وهي واردة مع التعليق، بمقدمة ديوان المحضار (ابتسامات العشاق) ومنها قول بامطرف عن باحسن إنه: (اطلع على ديوان عنترة

العبسي وغيره ودواوين الحماسة والغزل والتصوف، كما نرى ذلك واضحاً فيما خلفه لنا من أشعار) ونحن في الحقيقة نتفق معه في رأيه المطروح حول القصيدة، وقد ساق لنا حجته التي استند إليها فقال: (لقد كان باحسن أديباً واسع الاطلاع ومؤرخاً وفقيهاً، وإذا أردت أن تعرف سعة اطلاع الرجل فارجع إلى قصيدته التي قالها في السابع عشر من شهر شعبأن عام ١٣١٨هـ، أي وعمره أربعون عاما) وهو يوافق ١١/ ١٢/ ١٩٠٠م، والقصيدة تحتل الورقة (١٦٧) من ديوانه المخطوط ومطلعها:

عرفنا لما فيك معنى الصحاح بشاهد ما قاله الجوهري

ولأن المقام لا يسعنا لذكرها والتعليق عليها، نحيل الراغب في الاطلاع عليها إلى المحاضرة التي ألقاها كاتب السطور مساء يوم الاربعاء ١٦/ ٥/ ٢٠٠١م بالأمسية الثقافية الشهرية لرباط الشحر وهي مطبوعة ومنشورة.

لقد ذكر الشاعر باحسن في هذه القصيدة العديد من شعراء العصر الأموي مـن العشاق المتيمين كالمجنون، وقيس بن ذريح، وابن حزام، ومالك الجعدي، وذي الرمة، وكذلك الأشتر النخعي، والبحتري، والجعبري، والشوبري، والجوهري صاحب القاموس، والأشعري صاحب المذهب وغيرهم.

ونحن هنا نضرب صفحاً عن الأخطاء النحوية والصرفية والعروضية الواردة في القصيدة، وقــد فندها الأستاذ محمد بامطرف قائلاً: (إننا نلاحظ أن باحسن لا يحترز من الأخطاء اللغوية والعروضية فـي عدد من قصائده الفصحى، وهذه طريقة اتبعها مثله بعض الفقهاء الحضارمة في قصائدهم، لأنهم لـم يكونوا شعراء مبدعين، ولكنهم إنما كانوا نظاميين مقلدين... وفي القصيدة تكلفٌ أركب الشاعر مراكب خشنة، وهي في نظرنا ركيكة المبنى رغم أن معانيها جيدة.. وهـي تكشف لنا جانباً مـــن ثقافة الشاعر باحسن ومـــن عقيدته).

معاش باحسن :

لم نستطع التعرف على النشاط الاجتماعي الذي مارسه الشاعر بعد الاكتفاء بالــزاد التعليمي لمعاش أسرته، وحول هذه المسألة قال الأستاذ بامطرف: (لقد عاش باحسن عمره فقيراً إلا من دخل زهيد يأتيه من مصدر خاص لا يكاد يفي بحاجاته الضرورية) وحتى هذا المصدر لــم نستطع تحديده، وربما كان هذا المصدر نفقة شهرية تأتيه من أخيه محمد بن محمد المهاجر بشرق أفريقيا ولكن أخوه توفي بالشحر في ١٥ شعبأن ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) وربما يكون هذا المصدر هو ريع أرض زراعية بالديس الشرقية آل إليه وإلى أمه وأختها من أخيهما محمد بن أبي بكر الشاطري، وربما غير ذلك. ويضيف الأستاذ بامطرف: (وكانت ترد إليه بعض الهبات من المعجبين بشجاعته وفنه فيجود بالجانب الأكبر منها على المحتاجين من خاصته)، بيد أن الشاعر كان عزيز النفس حتى أن بعض قصائده تجعلك تظن أنه ذا مال وفير ومنها قوله:

لا مهمه من الدنيا ولا قلة اليد أنــا الله وهــاب

وكان صديقه شيخ بن حسين البيتي يعلم حاله تماماً، وهو من أهالي (محمده) بحجر ومـن تجار مدينة ممباسة بشرق أفريقيا، ولهذا طلب منه التوجه إليه واعداً إياه بترتيب معاش له يكفيه ويطيب له الإقامة هناك، فكتب إليه قصيدة طويلة، كانت على سبيل المداعبة، وأدرجها في ديوانه المخطوط ومنها:

حلفت بالمصطفى ما نغبط أهل البقـش   لو كان ما كان نا دور لأهل الطرش

حب المساكـين ذي هم ساكنين العشش   لو يوم صبحت واحد قال حيا منين

وقد يشتد عليه الحال فيضيق بها آل إليه أمره، فيتوجه إلى من يراه المنقذ، فقال مخاطباً العلامة محمد بن طاهر الحداد:

سيد من الشحر كيسه يا حبيبي خلي

فأجابه في الحال:

الله يجعله مـن خيرات ربي ملـي

ولعل باحسن لا يقصد زاد الدنيا ولكنه يقصد زاد الآخرة، إن قارئ الديوان يلاحظ في كثير من القصائد بل أغلبها الشكوى من الزمان وأهله، ثم إنه مــدح السلاطين آل القعيطي وكبار رجال الدولة والمشايخ والتجار، قال قصيدة لأحد التجار:

ضقت ذرعا مما أقاسي فيومي قمطريـــــر وليلتـي درعـــــاء
جاء شهر الصيام والحـال إني من عنا البعد قد غشاني البكاء

قال أحد الرواة إنه باع قطعاً أرضية، ربما ثلاث، هن المجاورات بيته الذي يقع بحي عقل باغريب، ربع الرقة، فالحي يقسم إلى أرباع، والرقة هذه تعرف برقة باحسن، ولا ندري إن كانت تنسب إليه أو إلى أحد من أفراد أسرته السابقين، ربما جده المعروف بالسخي، وكان تاجراً محسناً رؤوفاً بالمعوزين مـن أهل بلدته، وفي عام ١٩١١م باع الأرض الزراعية بالديس الشرقية، فأوقــف حاكم الشحر البيع بحجة أن ثلاثة قراريط من أربعة وعشرين قيراطا من الماء المباع وقف على أحد مساجد الشحر، ثم سجنه، وقــد أرجع باحسن ثمن المباع إلى المحكمة، والقصة معروفة، فقد

كتب باحسن رسالة أو مقامة حول هذه القضية بعنوان: (تنبيه العقلاء بشرح ما جرى على بعض أبناء الفضلاء) حررها في القعدة عام ١٣٣٠هـ أكتوبر١٩١٢م.

ولا ندري إن كانت القضية كلها من قبيل كيد السلاطين ورجال الدولة لباحسن لموقفه في الخلاف الذي نشب بين الأسرة الحاكمة كما سيأتي، أم أن باحسن فعلاً قد ارتكب خطأً في البيع، وفي رأينا إن هذه الرسالة تستحق بحثاً قضائياً، وهي مخطوطة بمكتبة الأحقاف بتريم تحت رقم (٢٩١٤) مجاميع.

وقد أشار باحسن في هذه الرسالة بأنه تم تعيينه في عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) عضواً بالمحكمة الشرعية بالشحر، بعد أن رشحه زميله العلامة محمد عمر بن سلم، وإن السلطان صالح بن غالب القعيطي أضاف إليه وظيفة عقود الآنكحة بالشحر، وقد قام بهما خير قيام، لكنه كان يذيع بين حاشية السلطنة ما معناه أنهم ليسوا عبيداً لأحد وإنما هم أحرار تمت سرقتهم/ اختطافهم من عائلاتهم وقبائلهم من على السواحل الإفريقية،

ولهذا فهو مستعد لتزويجهم دون أذن سيدهم، وهو بهذا يكون مثل من يقف بيد الدولة القعيطية ويحرض حاشيتها على التمرد، وكانت الدولة القعيطية ودويلات أخريات في المنطقة عملت بنظام الآنكشارية اقتداء بدول أخرى سبقتها إلى ذلك، وهي أشبه بالمليشيا في وقتنا الحاضر، ولو طال عمر الشاعر باحسن إلى ما بعد عام ١٩٣٧م أي بعد معاهدة الاستشارة مع الحكومة البريطانية وإلغاء نظام المماليك والكيلة، ووقوف هؤلاء ضد إلغاء النظام والكيلة، لوضعت الحكومة القعيطية والبريطانية تاجاً على رأسه.

وقد خاض باحسن تجربة في السياسة حيث وقــف مناصراً لحسين ومنصر أبناء عبد الله بن عـمر القعيطي المتوفي في الشحر في ٢٥نوفمبر١٨٨٨م، في أحداث ما يعرف بـ(فتنة القعطة) فكتب قصيدة مهنئاً الأمير حسين بعد عودته من المفاوضات التي جرت بينه وأخيه من جهة وعمهما السلطان عوض بــن عمر القعيطي، وكانا يطالبأن بنصيبهما

من إرث والدهما في حكم حضرموت، ويظهر أن باحسن اغتش بأخبار الشارع، ولم يقدر الوضع.

وفي يونيو ١٩٠٢م تم إحضار الأمير حسين عنوة إلى عدن ثم ألحق به أخاه منصر ونفيا إلى الهند، وعلى الراغب في الاستزادة الرجوع إلى كتاب د. محمد عكاشة (قيام الدولة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت).

ولعل باحسن لم يدرك اللعبة السياسية الدائرة آنذاك، ولم يفهم مسألة وقوف البريطانيين مع السلطان عوض في أحداث الاستيلاء على مدينة المكلا وكذلك المعاهدات التي أبرموها معه، معاهدة الصداقة،ثم معاهدة الحماية، إن ضحالة تجربته السياسية جعلته يخرج منها بصفقة المغبون، ولقد حاول بعد ذلك أن يحسن علاقاته بالسلاطين فلم يلق إلا أذناً صماء وذهبت جهوده أدراج الرياح، فقد كتب عدداً من القصائد أرسلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لكن لم تفده في شيء، والمسألة تحتاج إلى بحث مستقل، خاصة وأن كل القصائد مدرجة بالديوان.

ويظهر أن رجال السياسة يمكنهم أن يتسامحوا إلا مع من وقف ضدهم، فقد عانى باحسن مـن هذه المسألة حتى وفاته رحمه الله، وقد تمثل ذلك في التجاهل الذي عاملته به السلطة ورجالها، وانعكس ذلك على بعض الذين يدورون في فلكها، فقد تجاهلته اللجنة الأهلية التي شُكّلت بمدينته للنهوض بالمسألة التعليمية والتي أثمرت جهودها بافتتاح مدرسة مكارم الأخلاق في ١٤نوفمبر١٩١٨م حيث لم يدرج ضمن قوائمها، ولم ترشحه حتى ليكون عضو هيئة التدريس بها، وربما يكون للجنة موقفاً غير سياسي وهو موقفه مـــن الغناء وممارسته كما سيأتي.

هجرته إلى شرق أفريقيا :

ويبدو أن ظروف المعاش في مدينته قد قست عليه فـي أيام من حياته، ففكر فـــي أن يسلك سبيل الهجرة فهاجر إلى شرق إفريقيا، والمشهور بين الناس أنه سافر مرة واحدة، لكن عبارة السقاف فـي كتابه (تاريخ الشعراء الحضرميين) تقول: (نشاهده في تبعية أبيه وكنفه إلى مماته بالبحر بالقرب من قرية شقرة في أثناء عودته من زنجبار، ودفنه بشقرة سنة ١٢٩٦هـ)

وهـذا يوافق عام ١٨٧٩م، وعمره آنذاك ثمانية عشر عاما، فإذا فرضنا أنه كان بصحبة والده فلا يمكن أن نعدها هجـرة عمل، وعلى أية حال فإن رحلته الأخيرة ذكرها في مقامتين أدبيتين هما:

١ـ متاعب الأسفار في رحلتي إلى جزيرة زنجبار.

٢ـ إطلاع الأحياء على امتحان الدنيا، وقد كتبها عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م).

أما الأولى فلا يعرف متى كتبها، وفيهما يشير إلى أسباب هجرته بقوله: (مـرّ علينا وقت عبوس ومنحوس، ونحن فـي الشحر جلوس، فعزمت على أن أسافر وأجاهد)، وإذا كان هذا سبباً عاماً فإن السبب الخاص (تنغص معاشنا، وجرأة أوباشنا، وقصدنا من هذه الجهات ما يسد الفاقات)، أو قوله: (يقول من عضّه الزمان بناب أسنانه وسـلّ عليه سيف بغيه وعدوانه)، ثم أشار إلى مكان توجهه (وتوجهت إلى زنجبار فـي إحدى السواعي الكبار، ولما كانت هذه الجزيرة إحدى مواقع هجرة أهل الشحر، قال: (ولا اللائق بأهل الشحر إلا السواحل)، ويظهر أن باحسن

لم تكن لديه رغبة في السفر ولكن الظروف أرغمته على ركوب أهوال البحر (وقد قـال صاحب العلم والمكرمة سيدنا عمر بامخرمة:

ما نبا الهند لو تمطر علينا بفضة　　ما نبا إلا الوطن لو عضنا الجوع عضة

فالعزيز من عزته بلاده وعزها ...)، ويبدو من خلال ما ذكره في مقامتيه أنه قاسى الأمّرين ولـم يستفد من هجرته هذه شيئا يذكر، ففكر في أمر العودة (فطفقت أترقب وقت الذهاب، قانعاً مـــن الغنيمة بالإياب) ومع ذلك فإن أموره ميسرة في بلاده على قل العمل (أن كان إلا عتق الحلوق، وخياطة الشعوق، وكسي المحارم والأولاد الصغار، فـهـذه أمور ميسرة فـي الشحر ولا عليها غبار، والله يستر على قـل الغمار).

في عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) قال قصيدته الرمزية:

ما بهند فتنت بـل بسعاد　　مذ سبتني بحسنها الوقاد

فمن هي يا ترى سعاد التي فضلها على هند؟ هنا تورية أدبية لطيفة يجب أن نوضحها، لقد أغراه بعض أهالي الشحر على السفر إلى الهند سعياً

وراء كسب العيش فأبى، وفضل البقاء في الشحر (سعاد)، رغم ضائقة العيش التي بلاها في الشحر، فالمفاضلة هنا ليست بين غانيتين ولكنها بين مدينتين سعاد الشحر ومدينة بمبي) بامطرف، باحسن ص٨.

لقد أكتفى باحسن بنيابة عقود الآنكحة، وإمامة مسجد عبد الله العيدروس وهــو أحد قدماء صوفية حضرموت المتوفي بتريم سنة ٨٦٥هـ (١٤٦٦م)، وكان يقع بالقرب من مسكنه بحي عقل باغريب، وبإقامة حضرته الأسبوعية، وكان حادياً يضرب الدف (الطار) وينشد الأشعار الصوفية المغناة وبعضها من كلماته وألحانه، يساعده في ذلك صوته (الحسن الشجي) كما وصفه عبد الله السقاف في تاريخ الشعراء (ج٥/ ٦٢)، ثم إنه تفرغ للتأليف وكتابة الأشعار وبالذات شعر الأغنية وتلحينه فـي قوالب جميلة جعلت أفئدة جمهرة مـن الناس تأوي إليها بعد تقديمها على تخت عناصرها من جماعة سعى هـو إلى تكوينها من أبناء مدينته، وكان هو من يتزعمها ويعلن نشاطها، اعتماداً على علمه ووجاهته وانتمائه إلى مرتبته

العليا في السلم الاجتماعي وشجاعته ووقوفه كالجبل الأشم رغم كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

مؤلفات باحسن:

لباحسن مؤلفات فـي الأدب والتاريخ، لكننا وكما أشرنا سابقاً لن نقف عندها طويلاً وسنكتفي بالتعرف عليها: النفحات المسكية في تاريخ الشحر المحمية، والجزء الثاني يحمل العنوان التالي: النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، ويلاحظ أن المؤلف اقتصر علـى النفحات وبالأخص المسكية منها، وهو مخطوط يقع في جزأين تحتفظ بهما مكتبة الأحقاف بتريم تحت الرقمين (٢٢٠١و٢٢٠٢)، وبالجزء الثاني بعض الأوراق المفقودة. وفـي آخره جاء أنه فرغ مـن تبييضه بفاتحة شهـر الحجة ١٣٢٢هـ (٥ فبراير ١٩٠٥م)، وقد قسمه إلى أربعة أبواب ومقدمة:

الباب الأول: ذكر فيه أولياء مدينة الشحر، وقال: (وهو جل الغرض من هذا الكتاب) ولهـذا أستغرق الجزء الأول كله و(١٣٥) صفحة من الجزء الثاني.

الباب الثاني: ذكر فيه مساجد مدينة الشحر العامرة والمندرسة، وقد أتى في (١١) صفحة فقط.

الباب الثالث: وذكر فيه من ملك مدينة الشحر من الملوك العظام، ابتداء من السلطان أبو طويرق بدر بن عبد الله الكثيري، الذي تولى الحكم عام ٩٢٧هـ (١٥٢١م)، وانتهى إلى أيام السلطان عوض بن عمر القعيطي، وبالتحديد إلى ١٧ شوال ١٣٢٢هـ (٢٤/ ١١/ ١٩٠٤م)، وقد استغرق منه (٦٢) صفحة.

الباب الرابع: وهو ختم الكتاب ذكر فيه ما ظفر به من التواريخ التي قيدها بعض الثقات، ويقع في (٢٦) صفحة، وهذا حسبما وضعته من ترقيم لنفسي، والكتاب مرجع هام لا يمكن الاستغناء عنه.

المقامات الأدبية :

كتب عبد الله باحسن عدداً من المقامات الشعبية، كما كتب صديقه الأول الشاعر سعيد علـي بامعيبد عدداً آخر وشاكلهما آخرون، وكانت

تلقي في الجلسات على الحاضرين (على سبيل التنويع أو التجديد فـي مواد الآنس والمباسطة التي تدور في تلك الجلسات الاخوانية) بامطرف، الـرائد باحسن ص١٢، ولا ندري كم عدد المقامات التي كتبها باحسن، لكني أحتفظ بثلاث منها:

١ـ إطلاع الأحياء على امتحان الدنيا، وهي المسماة (تقريع الإذان في بعض عجائب الزمان) وقد كتبها في ٢٥ سفر ١٣٤٢هـ (١٦/ ١٠/ ١٩٢٣م) وقد تحدث عنها الأستاذ علي أبوبكر الصبأن فـي الاحتفال بذكرى الشاعر الخامسة والخمسين، ونشر حديثه ضمن كتاب خاص بالمناسبة صدر بآلة النسخ عام ١٩٨٣م.

٢ـ المقامة الشحرية الشهيرة في الجهة الحضرمية: وقد كتبها الشاعر في ٨ شعبأن عام ١٣٤٣هـ(٣/ ٣/ ١٩٢٥م).

٣ـ نقل الأخبار القادمة فيما جرى بين المعاملة، ولا يعرف متى كتبها، وقـد أورد صاحب كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) ج٥/ ٦٣، مقتطف منها كنموذج للنشر.

٤ـ متاعب الأسفار في رحلتي إلى جزيرة زنجبار، ونظن بأنها المشهورة بالمقامة (السواحلية) وهي مـن محفوظات الأديب المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف، وقــد تحدث عنها في كلمته بالحفل المذكور أعلاه ونشرت بكتاب (باحسن الرائد والفنان).

٥ـ تنبيه العقلاء بشرح ما جرى على أبناء الفضلاء، وهـي رسالة كتبها في ١٣ القعدة ١٣٣٠هـ (١٣/ ١٠/ ١٩١٢) ومن محفوظات مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، تحدث فيها عما حدث له شخصياً وهو يعمل قاضياً بالمحكمة الشرعية بالشحر، بسبب وكالته في بيع أرض زراعية واقعة بالديس الشرقية، ويقال إنه ترك العمل من سلك القضاء أحتجاجاً على وقف البيع وسجنه، بعد أن عمل به مدة خمس سنوات.

ديوان الشاعر:

أبقت لنا الأيام مائتين وسبع وثلاثين ورقة من ديوان الشاعر المخطوط، ويلاحظ أن أول قصيدة دبجتها قريحة الشاعر كانت في عام ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) وقـد امتد التدفق الشعري عنده حتى عام ١٣٤٤هـ

(١٩٢٥م)، وقد آل الديوان الأصل إلى الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف اليمنية بعد شرائه من مالكه محمد عبد الله الهدار، زوج ابنة الشاعر باحسن، وقد كتبت نسخة الديوان بخط نسخي في القرن الرابع عشر الهجري، وعناوينها بالحمرة، ويليه ورقتان قيل إنهما بخط الشاعر ويشتمل على شعره الفصيح والحميني.

وقصائد الديوان قيلت في المناسبات ومنها مدائح ومراثي وإخوانيات ومنها نصائح وشكوى الزمان وأهله، ومنها قصائد غزلية تغنى بها هو نفسه وجماعته، وانتشرت عن طريق الغناء إلى خارج اليمن، قال هو عنها: (قد بدأت لهم بعضاً من القصائد الفريدة فانتشرت حتى بلغت إلى الجهات البعيدة)، وقد أشرنا فيما سبق إلى رأي الأستاذ بامطرف من أن الأستاذ باحسن لا يحترز من الأخطاء اللغوية والعروضية في عدد من قصائده الفصحى، وباحسن نفسه يؤكد ذلك، فهو يقول: (وربما رأى بعض من إخواننا الكرام أن بعض القصائد لم تقم على جادة الأعراب ويحسب ذلك خلل في النظام، وأنا أعلم ذلك وأعرف ما هنالك، غير أني لم أتكلف على

تصليح حركات العوامل اعتماداً على ما قال القائل يغتفر للناظم ما لا يغتفر للناثر، مع أن العمدة في حفظ المعنى)، ويعلل ذلك بقوله: (أن ذلك واقـع على وفق الوارد الربأني)، ورغم هذا وذاك فإني أتمنى أن يقف المؤرخون والباحثون عند تاريخه ويتعرض الأدباء والنقاد لأدبه وشعره، فإن هذا العلم لم يعط حقه ولم يحظ بدراسة نتاجاته الأدبية والتاريخية إلى يومنا هذا.

نشاطاته الفنية :

مما تيسر لنا قراءته نكون قد حصلنا على إلمامة ببيئة الشاعر السياسية والثقافية، وتعرفنا علـــى نشاط الرجل في أكثر من مجال منها مشاركته في الفقه وعمله بالقضاء ونشاطه الثقافي وسعة اطلاعه ومشاركته بالتأليف الأدبي المتمثل في المقامات والشعر وكذلك التاريخ، ولكننا لم نتطرق إلى نشاطه الفني في الغناء والموسيقى. (والواقع أن كثيراً من صفات فناننا باحسن جديرة بالإكبار، ولكنا على الخصوص نكبر فيه خصلتين: أولاهما: تمرده على العقليات المتحجرة في مجتمعه، وثانيهما: نضاله في سبيل أن يعلو

شأن الفن في بلدته... إن التمرد على الأفكار المتعفنة والنضال في سبيل تطوير وتحسين حياة الآنسان في شتى أبعادها كانا عماد الترقي في كل العصور) بامطرف (الرائد ص٩). ولقد اجتمعت هاتان الصفتان في الشاعر باحسن عندما آمن برسالة الفن فأخلص جل نشاطه في سبيله، وملك لأجل ذلك شجاعة نادرة لم تثنه عنها غضبة كبير ولا اعتراضة أمير، وفي ذلك يقول:

وإني لا أبالي يابن وذي أسار الجيش أم أزمع أميره
ومن يكلح الي بعين عز أراه بمنظر العين الكبيره
ومن يكلح الي بعين نقص أراه بمنظر العين الحقيره

وكان قد ثار عليه المتزمتون ونشروا عنه أحقر الشائعات للنيل من سمعته، وذلك بسبب نشاطه الفني، وبلغ بعضهم أن واجهه باعتراضاته فقال:

أنا الذي للعشق قلبي وكن سالك ولا شئ قط عاقه
غير إن به من فعل هذا الزمن أحوال توجب لاحتراقه
غايته أن الامر فيه أعتجن والزين ناقص فيه واقه

وعندما كتب الأستاذ بامطرف كتابه (شاعر الغزل) قال: (لم يتعرض لا خو علوي، ولا خو عيديد في تريم لما تعرض له باحسن من نقمة وكيد وتشويه سمعه ومحاربه في الرزق في مدينة الشحر من قبل المتزمتين وكانوا جميعهم من الأقربين إليه، وطفق كالطود الشامخ مؤمناً بفنه ومؤدياً رسالته، فكان محل الاحترام والتقدير من عموم أهل مدينته).

وكيف اصطباري حيث زادت بليتي وقد مسني من أهل بيتي وبلدتي..الخ

إن إيمان باحسن برسالة الفنون إيماناً راسخاً، لهذا تحمل فـي سبيلها كل مشقة وصـمد صمود الجبال، أسمعه يقول:

لي قلب في العشقة مولع هكذا روعي بدر
أهـوى المغاني والغواني صيرن حـالي بشر

وكان يعلن ذلك صراحة فقد قال في إحدى مقاماته: (وإنما أنا من طلبة العلم والتعليم، وعلى الأشعار والألحان مخيم ومقيم).

وعلى الرغم مـــن أن كتاب الصوفي الشهير عبد السلام النابلسي (إيضاح الدلالات في سماع الآلات) المنتشر بينهم، فإن لهم أراء فـي الآلات الموسيقية التي توارثها الناس خلفاً عن سلف والتي تصاحب نغماتهم على شعر أغانيهم في مختلف المناسبات، فكانوا يقرون الطار (الدف الكبير) والمطرق في السماع الصوفي وكذلك المذروف (القصبة) في حالات خاصة، أما قرينة المزمار (المجوز) فإنهم يعتبرون أنغامه صدى لأصوات الشياطين، ويتسامحون فـي الهاجر والمرواس (طبول) في بعض الرقصات، أما القنبوس (العود القديم) والربابة والكمان والسمسمية فإنهم ينكرونها ويستنكرون التعامل معها، وكان هؤلاء لم يظهروا أي نوع مـن المعارضة عندما كان باحسن يجتمع بفرقة مـــن أصدقائه، هم في الأصل من يشاركه في السماع الصوفي (الحضرات) التي كانت منتشرة في الشحر وفـي غير الشحر من مدن وقرى محافظة حضرموت. وهـذا الأمر انقلب عليه بعد أن كل فرقة أخرى من أبناء بلدته وهي التي (وهبت نفسها لتطوير الفن الغنائي ونظمه وتلحينه في قوالب تستهوي قلوب الجماهير وتدخل السرور

عليهم)، ولم يكن فن الغناء بدعة في مدينة الشحر ولا في غيرها من أجزاء محافظة حضرموت، ولم تكن الآلات الموسيقية المذكورة وغيرها على خلاف أو فراق من فن الأغنية، ولكن هجوم هؤلاء المغالين الشرس كان لباحسن نفسه الذي يرون أنه أرفع من أن يرمي بنفسه في هذه المزالق، ثم لكونه يعلن ذلك في غير مواربة ويضرب بأوهامهم عرض الحائط.

وإذا وصف باحسن بأنه كثيراً ما يتجمل بالصبر فإنه أحياناً يشن عليهم حرباً مضادة في بعض قصائده، ويجالدهم بالحجج الدامغة، ومن هذه المجالدات أن يخط بقلمه الجميل كتاب (بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع) الذي ألفه أبو الفتوح أحمد محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م) وهو أخو حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، ونسخة باحسن هذه محفوظة بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم تحت رقم (٢٦) مجاميع، وقد كتبها عام ١٣٠٦هـ (٨/ ١٨٨٩م) أي وعمره ثمان وعشرين سنة، (جعفر القاف، باحسن من أنصار الغناء).

وهناك تعليق لشيخ الالام العلامة محمد علي الشوكاني على كتاب أبو الفتوح الغزالي، قال فيه: (وهذه التسمية في غاية الشناعة)، ولكنه كان يذكر في ذلك الكتاب مثلا: إنه صلى الله عليه وسلم سمع الجواري يغنين بالدف كما في حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء (أخرجه البخاري وغيره)، ثم يقول بعده: (فمن قال أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع حراماً، وما منع عن سماع حرام، واعتقد ذلك، فقد كفر بالاتفاق) وساق الأدلة علـى هذا المساق: (انظر كتابه إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع، ص٢٧).

لقد ناضل باحسن في سبيل ذلك نضال الأبطال، وحقق نصراً مؤزراً، وكان قد سبق أهل زمانه فـــي إدراك قيمة الفن وضرورته، وأن ما تمتع به الفنانون الذين أتو بعده لم يكن إلا بعد أن مهد لهم هذا المبدع العبقري السبيل فخرجوا إلى الجماهير معلنين فنونهم التي تطورت فيما بعد إلى المخادر المعروفة.

بيئة الفنان باحسن :

قال معبد الرائد الأول للموسيقى والغناء العربي: (أصل الغناء جميلة وفروعه نحن) وفي قوله تتجلى حقيقة إن الفنان امتداد للفنان، إذ أن العصر الذهبي للموسيقى الذي بزغ فيه الموصلي وابنه و زرياب ومن عاصرهم لم يكن إلا ثمرة الفن الأموي الذي سبقهم وأتاح لهم الظروف للتطوير والنماء والتجديد.

ولم يكن باحسن وصحبه ومن عاصره إلا امتداداً لفنون ازدهرت وتطورت وتراكمت منذ وقت طويل كانت ثمرته إشارات إلى الرقص والغناء في القرن العاشر الهجري، وإذا خبت وجد هذه الفنون، فإن السبب يكمن في انتشار موجة التصوف العارمة التي اجتاحت عموم محافظة حضرموت، إلا أنها لم تنقطع وإنما ظلت تمارس بعيدة عن الأضواء وفي الأماكن الخاصة.

إننا نعلم بعدم وجود كتب ودراسات أرخت للفن، ونعلم أيضاً أن مؤلفات باحسن لم تحبر لأجل الـفن وتاريخه، ومع ذلك سوف نبحث فيها عن أخبار الفن والفنانين.

ففي مقامته المعروفة بالسواحلية، قال معللاً رغبته في العودة إلى مسقط رأسه: (فالشحر فيها حسن المنقلب، وفيها الأسمار والطرب، بين الفوف والمداريف والأوتار، حنُة الهاجر(باغبار)، مع الإخوان والأخيار، أهل الصمل والدرق والشفار، وخاصة في ليالي القمر السيار).

وهو هنا يذكر نوعين من الفنون: الفنون الطربية أي الأغنية وما يرافقها من الآلات الوترية وآلات النفخ والآلات الإيقاعية، ثم الفنون الشعبية وهي على أقل تقدير رقصتي العدة والشواني، لأنه ذكر أدوات الرقصة: الصمل والدرق والسكاكين والآلة الرئيسية فيها وهي (الهاجر) الطبل الكبير، وخص منها المشهور باسم (باغبار) هاجر عدة حي عقل باعوين.

وقد كتب قصيدة بمناسبة قـدوم المطرب عبد الرحمن بـن حسن بن الشيخ أبوبكر المعروف في مهجره بمدينة بومبي الهندية بعبد الرحمن اليماني، وقد توفي بمارس(١٩٠٢م) بمسقط رأسه الشحر بعد مضي سنتين وأشهر على قدومه، وقد وصفه بأنه المطرب المغني العازف على العود الذي يتفوق على كبار الفنانين قديماً وحديثاً في الأداء على الألحان صوتاً وعزفاً، وأفاد بأنه حضر وأستمع لفنه في روحات كان يعقدها الفنان، ونحن نعلم أن الفنان الكويتي عبد الله الفرج قد عرف الفنان عبد الرحمن بمدينة بومبي وصاحبه وقد تتلمذ عليه وأخذ عنه الكثير من الأغنيات اليمنية كلمة ولحناً وطريقة أدائها.

وعندما ذكر في كتابه التاريخي الشيخ أحمد بلفقيه المولود بالشحر والمتوفي بأندونيسيا عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م أشار بأنه يحيي الليل بطوله على رنات الوتر، وكان يطربه فيه أخوه محمد الذي يسمي عوده الطربي (أنس السامعين) ويضيف السقاف فـي تاريخ الشعراء الحضرميين بأن محمد هذا صاحب صوت شجي وهو مطرب مبدع.

وقـد كتب باحسن في هذا الكتاب ترجمة لجده عبد الله بن أبي بكر المتوفي في الشحر عام ١٧٨١م، وقال عنه: (كان شغوفاً يحب الغناء والألحان الشجية والأصوات المطربة، وكان أكثر ما يهوى أصوات الشرح واللعب عليه وهـو المعهود على قاعدة أهل الجهة الحضرمية) وهو المعروف كما أظن بأصوات الزفين، وفي كتاب السقاف تاريخ الشعراء الحضرميين ترجمة لعبد الله باحسن نفسه قال فيها: (وإذا لم يجد من يطربه ويشجيه تغنى بصوته الشجي كوراثة عن أبيه وجده). ومن هنا نعلم أن أباه وجده كانا على صلة بالفن وأنه نشأ في بيت للفن والموسيقى والغناء نصيب منه، إضافة إلى الامتداد عند بافقيه وأخيه محمد وعبد الرحمن اليماني، وهـناك آخرون لكننا لا نعلم صلته بهم، وتتضح صلته غير المباشرة بمن سبقوه فقد ذكر الفنان الشاعر أحمد بن زامل وأورد له قصيدة في تاريخه، وعرف الفنان الشاعر خو علوي وعارضه في إحدى قصائده.

ونعتقد أن هناك فرق وأفراد يغنون أغنيات ترد إلى المنطقة من خارجها، علاوة على ما ينتج محلياً، وعلى وجه الخصوص من جاليتنا في

الهند ومن مصر، فقد أكثروا من تقديم أغاني يحيى عمر ومن قصائد البهاء زهير وعبد الرحمن العيدروس نزيل مصر، أما الأغنية المعروفة بالصنعانية، فهي واردة لامحالة والتأثر بهـا واضح. وكنا قد قدمنا نماذج من معارضات باحسن لقصائد شعراء هذا اللون مـن طربية وصوفية، وتحضرني الآن قصيدة أحمد بن حسين المفتي (ت ١٢٩٤هـ-١٨٧٧م) والذي يعرف بالإبي لنشأته ببلدة إب القريبة من تعز، وكان من الشعراء المبرزين في عصره، وهو صاحب الغنائية الشهيرة (صنعاء حوت كل فن) ومطلعها:

يقرب الله لي بالعافية والسلامة وصل الحبيب الأغن

وقد حقق ديوانه الدكتور محمد عبده غانم وأعطاه عنوان تلك الأغنية (صنعاء حوت كل فن)، وفي صفحة (٤٥) منه وتحت رقم(٢٢) قصيدته التي مطلعها:

لك الجمالة ويهناك الظفر والبشائر ملكت قلب العميد

فعارضها باحسن بقصيدة اشتهرت كثيراً ونقلت إلى الخليج وتغنوا بها هناك وهي:

لك البشارة ملكت القلب باطن وظاهر فأحكم على ما تريد

نعم لقد تركت الأغنية اليمنية وخصوصاً الأغنية الصنعانية تأثيراً عليه، شارك في ذلك المداحون الذين يجوبون اليمن كله عرضاً وطولاً وهـم يتغنون بالقصائد مع ضربهم بالطارات، وإذا قيل لنا إن كثيراً من هذه القصائد تنسب للشاعر جابر رزق (ت ١٩٠٤م) الذي نشأ في صنعاء وتصوف وأرتحل إلى تهامة وسكن الحديدة، فإن هذا الشاعر الصوفي قد زار مدينة الشحر عام ١٢١٦هـ -١٨٩٨م، وليس لدينا شك في أن الشاعر باحسن قد حضر معه عدة جلسات على الأقل جلسات الصوفية التي تعرف بالحضرات وقـد عرف قصائده ربما قبل زيارته وقد عارض ثلاث منها.

وفي ديوانه ذكر لعدد من الفنانين العرب الأوائل ومنهم: أبو عباد معبد بن وهب، الشهير بمعبد، وهو المغني الأول في العصر الأموي والذي شارك في تشجيع جنازته الخليفة الأموي الوليد الثاني بنفسه، وإسحاق الموصلي وابنه إبراهيم وهما من أشهر المغنيين في العصر العباسي، وأبو عيسى المفضل بن هارون المشهور بابن هارون، وبدعة الحمدونية المغنية الشاعرة والأديبة، ويحيى.

الألفاظ الدالة على الغناء وآلاته :

إذا كانت لفظة (الطرب) دالة على الغناء، فإن التطريب هو من الصوت وتحسينه، فالمطرب هو الذي يطرب غيره بحسن صوته وغنائه، وعلى ذلك فإن كل الألفاظ الدالة على الطرب وتحسين الصوت تدخل في هذا المعنى، وإذا نظرنا إلى ديوان الشاعر عبد الله باحسن فسنجد كثيراً من الألفاظ الداخلة تحت هذا المعنى وعلينا ضرب الأمثلة:

(مطرب، ردد، شل، لحن، صوت، ناح، دان، سجع، نسنس، طاب، السمر، الغناء، المغاني، غنى، شجاني، حرك، السماع، حادي، رنات، نغم، شدى، ترنم وغيرها).

وهناك ذكر للآلات التي تساعد هؤلاء المطربين لزيادة التطريب، وقد ذكر باحسن بعض الآلات الموسيقية التي كان يستعملها ويعزف عليها الفنانون الذين عاصرهم من أفراد فرقتيه الصوفية والطربية والآخرون ومنها:

(العود، الموتر، الوتر، الأوتار، المزهر، الزاهر، عـود الوتر، عود الطرب، مزمار، الـمدروف، يدرف، القصبة، الطار (الدف)، الساج (طبل)، المرواس (طبل صغير)...).

وقـد سجلنا هذه الألفاظ كما وردت في بعض أبيات قصائد الشاعر، دون أي تدخل منا، وكان اختيارنا عشوائياً ودون ترتيب، ولم نكتب الألفاظ المكررة، وقد لاحظنا فيما وقفنا عليه مـن قصائد الديوان عدم ذكر

لفظة (القنبوس) ولا الربابة ولا الكمان أو الكمنجة ولا السمسمية ولا آلات إيقاعية أخرى معروفة في المنطقة، وذكر (الهاجر) في إحدى مقاماته، أما في الشعر فهو (الساج) أي الطبل الكبير.

المطربون والمغنون المعاصرون لباحسن :

الشعر ليس تاريخاً ولكنه من المصادر الهامة للتاريخ، وإن كان من المصادر الثانوية، فالشعر ديوان العرب لأنه سجل لأخلاقهم وعاداتهم بل هو صورة لحياتهم في مختلف النواحي، ولما كان الغناء وموسيقاه لا ينظر إلى محترفيه نظرة تقدير واحترام، لا نرى في كتب التاريخ المحلي من التفت إلى هؤلاء بقصد الإشادة بهم وبفنهم من قريب أو بعيد، وحتى كتاب تاريخ باحسن، فبالرغم من أنه فنان ويهتم بالفن فإننا لا نراه يؤرخ له ولا لأصحابه، وإذا ذكر أحدهم فإنما أتى ذكره عرضاً، والذين ذكرهم قليل وكلهم منشدون، ونحن نعذره لأن كتابه كان لعلماء المدينة ومشايخها، ولم يرتق أحد عندنا بالفنانين إلى مرتبة المشيخة والعلم. لهذا كان التوجه

إلى ديوان الشاعر للبحث عن أسماء هؤلاء المطربين والمغنيين والعازفين من الذين عاصرهم الشاعر وذكرهم في شعره قصداً وبدون قصد.

والمعروف أن الشاعر عبد الله باحسن كون فرقة للغناء من عدد من أبناء مدينته الشحر، كلهم آمنوا برسالة الفن وضرورة إعلانه والرفع من شأنه وتوطيده ونشره بين أوساط الجماهير. وقد أشار الأستاذ محمد بامطرف إلى أعضاء هذه الفرقة التي كانت تعرف بـ(البشكة) ثم أطلق عليها تسمية (الجماعة)، على أثر قصيدة لعضو الجماعة الشاعر سعيد بن علي بامعيبد، وقد أرسلها مع الربان حاج بن طرش والد الفنان عبد الله حاج، وربان السفينة (نور البحر) الملقبة (الصرك)، وكان بامعيبد بمدينة بومبي والسفينة متوجه منها إلى المكلا، فخاطبه بامعيبد قائلاً:

مر على الشحر وانشد عا رئيس (الجماعة)
نعم (بوعيدروس) في الأنس ما أطوله باعه
وإن حضرت الصفاء أقعد ولو نصف ساعة
عندهم بايشل منك الهموم (استماعه)

وكانت الجماعة مكونة من:

١ـ عبد الله باحسن نفسه وكان شاعراً وملحناً ومغنياً حسن الصوت.

٢ـ سلطان بـن الشيخ علي وكان مغنياً جيداً وملحناً وعازفاً ممتازاً على العود القديم، وقد جلب معه عوداً هندياً يقرب كثيراً من العود المحلي (القنبوس)، وقد أوقع هذا بعض المؤرخين والكتاب في وهم جعلهم يعتقدون أن الفنان سلطان أول من أدخل العود والعزف عليه إلى حضرموت، وهو خطأ شائع، وتوفي في مهجره بمدينة بومبي عام ١٩٠٤م.

٣ـ سعيد علي بامعيبد، صديق باحسن الأول وهو أحد الفاعلين المهمين من الجماعة وهو من رشح الفنان سلطان لعضوية الجماعة، وكان مؤرخاً وأديباً وشاعراً وملحناً وتوفي بالشحر عام ١٩٢١م.

٤ـ سعيد عمر بن عقيل وكان منشداً مشهوراً في الاحتفالات ورواية للشعر.

٥ـ أحمد عمر باقيسي وكان مغنياً عذب الصوت يشارك في تلحين وغناء أصوات رقصتي العدة والشواني.

٦ـ عبود بامعبد وكان ناقراً على الدف وكان حسن الخط إذ يقوم بكتابة القصائد ويوزعها على أعضاء الجماعة وينشرها بين هواة الغناء.

٧ـ صالح أحمد الحامدي وكان عازفاً ممتازاً على الكمنجة وملحناً وقد هاجر إلى شرق آسيا.

٨ـ حسين أحمد الحامدي شقيق صالح، وكان شاعراً رقيق الأداء، عاد من مهجره إندونيسيا وتوفي بسيئون عام ١٩٤٦م.

٩ـ عبدالنعيم خميس وكان عازف الجماعة الأساسي على القنبوس (العود المحلي) وهو والد الفنان القدير سعيد عبد النعيم وتوفي بالشحر في نحو ١٩٣٤م.

١٠ـ عبدالنعيم فرج الله وصفه الأستاذ بامطرف قائلاً: (أقدر من عرفت من أهالي الشحر في وقته تعاملاً مع المدروف والمزمار) وقد أسس بناته الثلاث فرقة نسائية عرفت بفرقة (نعيمات) أشهر من كن يؤدين رقصة

(الفلاتي) الشجية غناء وضرباً على ايقاعاتها، وابنه نافخ القصبة في فرقة الزربادي بالشحر وتوفي في نحو١٩٤٢م.

ونحن إذا رجعنا إلى قصائد الديوان لا نجد ذكراً إلا لأربعة هـم: المطرب سلطان بن الشيخ علي وقد نظم باحسن قصيدة في سمر معه كما يقول في الديوان وقد ذكره بالاسم (سلطان بالصوت ناح)، وذكر أحمد باقبيسي وسعيد بن عقيل كل على حده في قصيدتين، ذكر باقبيسي في قصيدة شكوى وموقف من أهل زمانه، وبن عقيل في قصيدة جاءت في شكل نصيحة، أما عبود بامعبد فقد ذكره في قصيدتين جاءت الأولى في شكل نصيحة وكانت الثانية من قصائد سمر قناصة الوعول الجميلة المعروفة بقصائد (بني مغراة).

وفي الديوان ذكر لمغنيين ومنشدين آخرين عرفهم، ربما كانوا من الفرقة الأخرى وهم: بكران عمر باجمال وكان منشداً حسن الصوت، يجيد العزف على القصبة والتوقيع على الإيقاعات المختلفة، والمنشد سالم مبارك بامعلم، والمغني ابن رجب الذي يغني على الساج أي الطبل الكبير

(الهاجر) ، والمغني سالم عبد الله محروس الذي يغني على المرواس، وذكر أيضاً عازف القصبة سالم صالح ومنشداً أخر اسمه عوض.

وقد سبق أن ذكرنا أن الشاعر كتب قصيدة ترحيباً بمقدم الفنان عبد الرحمن حسن المعروف بعبد الرحمن اليماني من مومبي بالهند، وإذا لم يذكر باحسن أعضاء آخرين من جماعته وكان منهم صديقه الأول بامعيبد فإنه لم يذكر آخرين كانوا من أعمدة النشاط الفني في مدينته ومنهم على سبيل المثال الفنان صالح باسلوم ملحن أغنيته الشهيرة (ما للرشا المعسول حلو القوام) والشاعر المطرب عبد الحبيب أحمد الجحوشي، والفنان الكبير المعروف بالمطرب الشحري سعيد عوض كاوره الذي صحب المستشرق النمساوي لندبرج إلى بلده ثم استقر معه في مصر.

وقد التفت الدكتور محمد عبد القادر بافقيه إلى هذه المسألة (إن سعيد لم يشر فيما يظهر إلى حركة الطرب التي شهدت ازدهاراً كبيراً في مدينة الشحر على أيدي جماعة الشاعر الغنائي الكبير عبد الله باحسن والمطرب

الشهير سلطان بن الشيخ علي. (مجلة المنتدى، دبي عدد(٥٢) نوفمبر١٩٨٥م).

أخطاء ونسيان وضياع :

نحن في الحقيقة نستطيع أن نعد ما يزيد على ثمانين نصاً من قصائد الشاعر باحسن التي نعتقد إنها نظمت أساساً لتغنى، ولكن اللاتي بقين مرددات على ألسنة الفنانين تقترب من الثلاثين قصيدة، أما باقي الأغنيات فلم نعد نسمعها وربما يكون السبب في ضياع ألحانها، وهناك أغنيات وردت في قائمة أغنيات الفنان الكبير محمد جمعة ولم يعد يذكرها أحد مثل أغنية (خبري يا نسمة السحر).

إن الأغنيات التي تقدم على ثلاثة او أربعة ألحان أو قالبين إيقاعيين، لدليل آخر على أن هذه الالحان أو هذه القوالب الإيقاعية إنما وضعت لأغنيات أخرى، ومنها التي لدينا نصوصها وضاعت ألحانها، لكن المتأخرين لم يحافظوا على الأصول فضاعت كما ضاع الكثير من قبلها وبعدها، فمثلاً أغنية (يشوقني برق) تغنى بثلاثة ألحان وعلى الإيقاع

العوادي أو الإيقاع الخيالي، وقل مثل ذلك في أغنية (لك البشارة) وأغنية (مايس القد) وغيرها.

هذا ما أكده لنا الفنان فرج محفوظ بن ياقوت، وتفضل مشكوراً بأن أسمعنا تلك الألحان، حدث كل ذلك بسبب غياب التوثيق وعدم الاهتمام بالحقوق الفكرية والأدبية لعموم الأدباء والـفنانين، وعدم ضبطها بالنوتة.

ومن تلك الأخطاء في نسبة قصائد الشاعر لغيره وهي واردة في ديوانه المخطوط الذي نعتقد أننا لم نجد فيه أية قصيدة تنسب لغيره، ومن ذلك وعلى سبيل المثال أغنية (جاءت تجر ذيول التيه والعجب) التي نسبت ليزيد بن معاوية الخليفة الأموي، وكذلك أغنية (صفق لي يا حمام) ومطلعها:

يامن له في سويدا القلب داخل محله إني بكـم مغـرما

وتنسب للفنان سلطان بن الشيخ علي، ولكن المشهور بين الناس أنها من ألحانه فقط.

وقد ثار نزاع بمنتدى الشاعر المحضار رحمه الله حول نسبة أغنية (يشوقني برق) وتشكك الأستاذ بامطرف حول قصيدة (قال الذي قد هام) وقال: (تنسب له) بسبب عدم كتابة ناسخ الديوان عبارة (وله رضي الله عنه) وكان من عادته أن يكتبها بالقلم الأحمر، فسقطت منه.

ثم إن قصيدتين لا تنسب له وهما (الهاشمي قال شل الصوت) و (خبري يا نسمة السحر) والأخيرة ذكرها العماري في كتابه (الوتر والدان) وبها أخطاء كثيرة، وفي الخليج العربي لا ينسبون له قصيدته (يا من بسم الرنا قـطع علائق فـؤادي).

وهنا قصائد مغناة تنسب له وهي لغيره ومنها: تملكوا عقلي وهي لأبي الغوث التلمساني، وأتاها رسولي وهي لإسماعيل بن المقري اليمني، وسبأني مهفهف عشية وهي لعبد الرحمن بـن مصطفى العيدروس المصري.، وصدق الواشون وهي لبهاء الـدين زهير، وقال الذي هو في بحور وهي لسعيد مبارك مرجان (الشحر)، وأهيل النقاء قلبي لشاعر مجهول، وأشارت بالمساء لمجهول ايضاً.

أما ألحان أغنيات باحسن فهي مسألة شائكة للغاية، لأن الناس هنا في حضرموت لا يعطون الألحان وواضعها أية أهمية ويسمونه على الصعيد الشعبي (منوع) أو (مصنف) ولكن عزائنا أن لهذا الأمر مثيل في أكثر أقاليم الوطن العربي إلا ما ندر، وفي هذه القضية تحدث الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في لقاء نشر إثر وفاته، قال فيه: (الأستاذ محمد جمعة على ما فيه من قدرة على التغني لم يلحن إلا القليل من الأغاني... ولكن أغلب القصائد التي كان يغـنيها لملحنين آخرين أمثال سلطان بن الشيخ علي وسعيد علي بامعيبد وعبد الله باحسن... ولا نستغرب جهلنا بمعظم ملحني أغاني جمعة، ولا نذهب بعيداً، فلو تسنى لنا الاطلاع على كتاب الدكتور محمد عبده غانم (شعر الغناء الصنعاني) الذي ذكرت فيه حوالي مائة أغنية، لوجدنا أن ثلاث أو أربع قصائد معروف ملحنها، أما السبعة والتسعون أغنية الأخرى، فالناس على جهل تام بملحنيها) (من صحيفة الشرارة، عدد ٥٩٤، الأربعاء ٦ يوليو ١٩٨٨م)، ورغم ذلك فإن المتذوقين لفن الأغنية يقرون بمقدرة الثلاثة على التلحين ويضيفون صالح الحامدي

وصالح باسلوم الذي كان من حسن حظه أن يحفظ اسمه مقروناً بلحن أغنية (ما للرشا المعسول)، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك ملحنون آخرون، ولو اقتصروا على تلحين واحدة أو اثنتين ولم تخلد الذاكرة أسماءهم، والأمـر ساري إلى يومنا هذا، فالاختلاف وارد في أسماء ملحني بعض من أغاني الشاعر الملحن حداد بن حسن الكاف، والقليل من أغنيات الشاعر الملحن حسين أبوبكر المحضار، ولن يحل هذا الإشكال إلا التوثيق، فالفنان باحسن وغيره كثيرون جداً لم تدرس ألحان أغانيهم لهذا نكون قد ظلمناهم لضياع هذه الألحان ولتركها نهباً للآخرين المدعين بأنها من ألحانهم، لكن أغنية (ما للرشا) فلن يضيع لحنها بفضل جهد الفنان العدني عبد القادر أحمد قائد الذي دون نوتتها وفـقاً وأداء الفنانة الكبيرة فتحية الصغيرة على مقام الحسيني إيقاع دسعة اولى (إيقاع صنعاني)، ونشرها بالعدد الثالث من مجلة (الفنون) عدن، مايو١٩٨٨م، وقد حفظ مشكوراً وإلى الأبد حق الفنان صالح باسلوم وهو من أهالي الشحر.

لقد بلغت الأغنية الحضرمية بعناصرها الرئيسية في تلك الفترة مرحلة عالية من الازدهار والرقي الفني والحضاري، وكانت سيدة الموقف الأغنية الطربية التي يمكننا تصنيفها على أساسها الإيقاعي إلى العوادي الخفيف والعوادي الثقيل والخيالي وأضربه والبهراوي المشتق من الخيالي أيضاً. بالإضافة إلى إيقاع الزفين (شرح رجال) بقالبيه الذي عرف فيما بعد (بالصوت) خاصة في الخليج، وإيقاعات الاستماع بقوالبه، وأغنيات سمر القنيص (قناصة الوعول) المشهورة بقصائد (بني مغراه) بقوالبه الثلاثة التي يعزف عليها بمرواس واحد، وكذلك إيقاعات الرقصات الشعبية الكثيرة والمتنوعة.

هذا ولا ننسى المشاركة بنظم القصائد وتلحينها على إيقاعات اليافعي والصنعاني، وكان متأثراً باللون المعروف بالأغنية الصنعانية.

وقد سبق وأن أشرنا أنه عارض بعضها ويخمس ويشطر بعضها ويذيل بعض الأبيات المشهورة، ومنها قصائد جابر رزق والآنسي والمفتي والسودي والعيدروس العدني والعيدروس المصري، كما أنه وصحبه قد

وضعوا ألحاناً طربية لكثير من قصائد شعراء من غير اليمن كابن الفارض وابن عربي والحلاج والتلمساني والنابلسي والبهاء زهير والجعبري والشبراوي والحاجري والسروجي وشعـراء من العصور الجاهلي والإسلامي والعباسي.

ولنقف قليلاً عند مؤثرات اللون الهندي في الأغنية الحضرمية، فالمعروف أن هناك علاقات تجارية قديمة بين الشعبين اليمني والهندي، وقد تطورت فيما ألحقها من السنين وكانت التجارة اليمنية القديمة تعتمد أساساً على الوساطة بين الهند وما يليها وبـين بلدان البحر الأبيض المتوسط، حيث شهدت الموانئ اليمنية ازدهاراً ملحوظاً، غير أن معارفنا الأكثر دقة عن هذا النشاط إنما تعود إلى (البريبلوس) حوالي مطلع القرن الثالث الميلادي الذي يشير إلى البضائع الهندية في الموانئ اليمنية، وعليه نجد الأفراد والجاليات اليمنية والهندية يتبادلون الإقامة كل في بلد الآخر.

واستمرت هذه العلاقات في التطور والنماء إلى حال التاريخ، وكانت لهذه العلاقات تأثيرات في أكثر من مجال في العادات والملبس والغذاء ومختلف

الفنون مـن البناء وحتى الغناء، ففي الأغنية اتخذت ثلاث اتجاهات منها التأثير اللغوي، فقد دخلت كثير من الألفاظ في شعرنا المغني مثلاً نجد في أغنية يحيى عمر:

حاضر باش هندي (برابر شاباش)

أو : قال اسمع صاحب (شلوه) قم إطلع

أو : جـوب قـال صـبر(كروه) يا رجـال

وقصيدة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس: (وقلت أيضاً ومزجت آخره باللغة الهندية:

متى القرب من خير خشق (هويقا) فنار النوى في فؤادي (جليقا)

أيـا راحــلا نحـو ذاك الحــــمى توقف قليــلا فهـــم بي (شليقا)

(من ديوان تنميق الأسفار ص ١٣٠)

ثم إن هناك من قدم الأغنية الهندية الصرف لغة وموسيقى أو مترجمة أو باختيار النصوص العربية المناسبة للحن الهندي المنتقى والمختار، أما الاتجاه الثالث وهـو الأهم فـقد أدخلت بعض الضغوط الإيقاعية الطربية

وهــو ما يعرف عند الموسيقيين بالزخرفة، ولكن إذا درس اللحن ونظام الإيقاع المصاحب، فـنجد عروبته الأصيلة، وهو كثير عندنا وعند غيرنا، لكن بعض الفنانين يؤدون بعض الأغنيات بهنك هندي وهذا أيضاً مؤثر قوي جداً، وهو الذي جعل الكثيرون يعتقدون بأن هذا اللون هندي وهو خطأ فادح، ونجد ذلك عند الفنانين المشهورين أمثال محمد جمعة وعند عبد القادر بامخرمة وأحمد القعطبي وصالح العنتري وحمودي عطيري ومحمد سعد عبد الله ومحمد البربراوي وعند عبد القادر جمعه وعبد الرب إدريس وغيرهم كثير.

وكان الرائد سلطان بن الشيخ علي يجيد الأغنية الهندية، وعلى أية حال فإن الأمر يحتاج إلى بحث أعمق.

أغنيات باحسن المشهورة :

وهنا نرى أنه مـن الأفضل أن نكـتب مطالع أغنيات الشاعر باحسن التي ظلت تردد على ألسنة الفنانين هنا في اليمن وخارجها، لأننا نلاحظ أن كثيراً منهم ـ وهم الأولى بمعرفة شعراء أغنياتهم ـ لا يعلمون عنهم شيئاً،

فعندما سئل الفنان أحمد أحمد قاسم بعد الانتهاء من أغنية (ما للرشاء) قال: (إنها من التراث)، وكتب الفنان أيوب طارش مثل ذلك القول على الألبوم الذي ضم أغنية باحسن (قال الذي قد هام في حب الذي تيمه)، ولاحظت أيضا أن كتب صدرت هنا وأخرى فـي الخليج ونشرت أغنياته ولم تنسبها له، وبتقادم الزمن سوف تنسب كلها للتراث مع أننا نعرف صاحبها، وهذه الأغنيات المشهورة:

عليك العمد يا رب لا خاب من قصد

وحاشا يـرد كل من قصد نحـــو بابك

***

رب إني قصدت الباب والأمر مشتد ياغني كـل طـلاب

يا رجائي إذا ما الحال أمسى منكد من عوارض وأسباب

***

مــايس الـقـد فـتنـــة للعبـــاد مــــن رأى مايس الـقـــد افتتن

مالك الحسن لي ماله مضــــاد ناعس الطرف ذي الوجه الحسن

***

لك البشارة ملكت القلب باطن وظاهر   فاحكم على ما تـريد
ومـــا تملـكتـه إلا بتـصريف قـــــادر   فارفق بصب عـميـد

***

جــاءت تجر ذيول التيه والعجب   هيفـــــاء مياســـة الأعطـــاف كـــالقـضب
تختال في مشيها زهو وقد خجلت   شمس الضحى إذ نفت عن وجهها الحجب

***

شفك الحسن من بديع المحيـا   جل من أنشاك بشراً سويا
ما لـليلى ومـا لسعدى ولبـنى   مـــن جمال وما لهند ومـيا

***

يامن له في سويداء القلب داخل محله إني بكم مغرما
أنتم مرادي ومطلوبي بل القصد كـله فحبكم مغـنما

***

يا أحيـباب لـقـــد شاب مفـــرقي مما أعـــاني
أي ودمع العين سحاب بل وقد جرح جفاني

***

قــال بن لشراف يا قلبي الحزين   اصبر عسى الصبر يعقبه الظفر

***

ومنها:

وبعد يا قـرة العــين اليـمين يا فايــق الـغـيد يا زيــن الحـور

يا يوسف الحسن يا أنس الحزين يا بهلكي يا هـركلي في الصور

***

يا منائي تلف جسمي وشاهدي مولاي أن ذا مـا يفيـدك

إنني مت فـي عشقتك ما بين إحـياي شف لميت عميدك

***

يقـول بن هاشم نسيم الغبش جاني بأخبار المسرة

فقلت يا حيا بمن قـد طرش يا مرحبا ألفين مـرة

***

نعـم طيب الأنفـاس قد زارني سـرا　　به زالت الأدناس في السر والجهــرا

ودير رحيق الكأس وأسقاني الخمرا　　فياما أحيلا الكأس أورثـني سكـرا

***

خبري يا نسـمة السـحـر عل أن تـشفين بالخـبر

إن في أحشاي نـار أسـى في فؤادي ترمي بالشرر

***

يوسف الحسن دفاق العيون الكحيلة ساحر الطرف هذا

مـن يعثكل على مثانه سينه والطويلة خـامر الجعـد هـذا

***

يا لله يـــا رب يـــا مـــن لك علينا لطايف   أنت الـولي اللطيف

سالك تسامح وتغفر ذنب من كان خايف   في يوم هائـل مخيف

***

يقول بن هاشم كفا ما جرى يا فايق الغـيد الحساني

أنا الذي لحمي جميـع إنبرى فالجسم بالأسقام ضاني

***

الهاشمي قال شل الصوت مطرب شـجاني   عساه يطفي الوقود

في الليل حـرك على صوت الطرب والمغاني   بوقت مطلع سعود

***

يامن بسهم الرنا قطـع علائـــق فـــؤادي وشل منه ثلاث

العقل والروح والمهجة وناوي عنادي وشب فيهن ثلاث

***

البارحــة حرك المطرب لواعــج شجوني نكش علــى الجراح
بيتت سهران حتى النوم جنب عيونـي من حين بالصوت ناح

***

شرفوني سادتي بالملتقى إن لدع الحب ماله من رقا
يـــا أهـــل الـبقـــا أي وربي إنه يــورث هيـام

***

قــال الذي هـام في حب الذي قـد تيـمه   أهيف ترف فتان نعسان العيون المسقمه
زين القبل حلو المقل يا ليتني كنت ألتمه   ريقه عسل صــافي ولكنـه علي حــرمه

***

يقول بن هاشم تريف البدن أبدى الجفا بعد الصداقة
فقلت يا فتــان مـإذا حـسن من علمك فعـل الحماقة

***

ياربنا سالك بحق السر من طاسين وميم   وحق آيات المثاني ذي لها القدر العظيم

***

ومنها:

قال الشريف الهاشمي من هو على عهده مقيم
إن الهـوى والعشـق في قلب المغنى سين ميـم

***

يامن على صدي أسل السنان إني ذخيلك الأمان الأمان
يامن يرى ذلي وضعفي لـه حاشاك أن صيرتني كالمهان

***

حنانيك أن الصب فيك مولع وبالصد منكم صار قلبي مصدع
ومـــن كثرة شوقي المتيم إنـه يبيت ولم يـــرق له قط مـــدمـــع

***

يشـــوقني بـرق مـن الحي لامـــع لعـل بـه تبـــدوا الربى والمرابع
وحيث طرا عرف النسيم إذا سرى تذكرت ما تحويه تلك المواضع

***

ما للرشا المعسول حلو القوام جوز في العشقة عذابي
أمـا يخـاف الله هـذا الغـــلام أمـــا كفاه جـور مابـي

***

صلوني فإن القلب فيكم مـذاب وأحشائي فيها حرقة والتهاب
ومن صدكم لم يرق لي قط مدمع وعقلي غذا للبين فيه اضطراب

***

سباني مهفهف عجيب القوام جميل المحيا كبـدر التمام
لـه طلعة حين يبـدو الـدجى محا نوره غيهبات الظلام

***

مطربون غنوا لباحسن :

لقد انتشرت أغنيات عبد الله باحسن في كثير من البلدان خصوصاً لدى جالياتنا المنتشرين فـي مدن بالهند وشرق آسيا وشرق إفريقيا، وقد انتشرت أيضاً في أغلب مدن وموانئ جزيرة العرب، وقد غنى له العديد من الفنانين بها، لكننا سوف نقتصر على مـن ثبت لدينا عبر السماع المباشر والتسجيلات القديمة والحديثة أو قرأنا ذلك فـي الكتب والدراسات أو النشرات الإعلامية من محافظة حضرموت:

غنى له الفنانون: عمر محفوظ غابه، محمد جمعه خان، عبد الله حاج بن طرش، يسلم عبد الله دحي، سعيد خميس عبدالنعيم، كرامة سعيد مرسال، سالم سعيد علي، محمد سالم بن شامخ، مفتاح سبيت كنداره، أبوبكر سالم بلفقيه، عبد الرب سـعد الله إدريس، محفوظ محمد بـن بـريك، أحمد يسلم زبير (بدوي) وغيرهم.

ومـن بقية محافظات اليمن: فضل ماطر الملقب بلبل عـدن، طه محمد خليل، أحمد عـوض الجـراش، إبراهيم محـمد الماس، أحمد عبيد القعطبي،

محمد سعد عبد الله، أحمد بن أحمد قاسم وزوجـته الفنانة فتحية الصغيرة، أيوب طارش عبسي.

وقـد هاجرت أغاني الشاعر الفنان عبد الله إلى الخليج ووصلت بطريق مباشر وغير مباشر وانتشرت هناك كثيراً ومن أشهر من غنى له:

في الكويت الفنانون: يوسف البكر وعبد اللطيف الكويتي وعوض الدوخي ومن خلفهم.

وفي البحرين الفنانون: محمد بن فارس وضاحي الوليد ومحمد زويد ومن جاء بعدهم.

وفــي عمان الفنان راشد سالم الصوري ولم نستطع التعرف على غيره.

في ذكرى وفاة الشاعر :

أغلب أهالي مدينة الشحر يكنون حباً كبيراً لفنانهم الشاعر عبد الله محمد باحسن، وكـان مبعث ذلك الحب والاحترام والتقدير والاعجاب بشجاعته وبالجهد العظيم الذي قدمه في سبيل الفن الغنائي، والإعلاء من

شأنه، لهذا كان الناس على علـم ببعض أخباره وأشعاره، وكـان الشباب منهم يتسقطونها من كبار السن، ولكن بتقادم السنين أخذت هذه المعلومات عن حياة الشاعر وأغنياته شعراً وألحاناً تبتعد عـن الحقيقة ، بل وتختلط بالخيال والاكبار، ومن ذلك أن نسبوا له ما ليس له من قصائد الشعراء الآخرين، ومقابل ذلك أخذت الذاكرة تفقد ما ادخرته وخزنته شيئاً فشيئاً.

وبعد مضي عشرين عاماً على وفـاة الشاعر باحسن، صدر كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) للمؤرخ عبد الله محمد السقاف، وقد وصل الكتاب بأجزائه الخمسة إلى المكتبة السلطانية بالشحر في ١٣/ ٨/ ١٩٤٨م، وكان المؤلف قد قدم نسخاً منه للسلطان صالح بـن غالب القعيطي الذي تفضل مشكوراً بتوزيع بعضها على المكتبات السلطانية بواسطة ناظر المكتبات بالسلطنة، وجاءت ترجمة الشاعر باحسن بالصفحات (٦٠ ، ٧١) من الجزء الخامس من الكتاب أشار فيها المؤلف إلى اسم الشاعر ونسبه وميلاده ووفاته ومكانها وأساتذته ورحلاته ومؤلفاته، التاريخ

والمقامات والديوان، ونشر مقتطفاً من مقامته (الأخبار القادمة فيما جرى بين المعالمة) كنموذج لنثره، واختار نماذج من أشعاره، وأفادنا بأنه اطلع على مؤلفاته ومنها الديوان، في حين أن الشاعر المؤرخ عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف الذي قد انتهى من تأليف كتابه (إدام القوت معجم بلدان حضرموت) في ٢ إبريل ١٩٤٨م والذي ظل مخطوطاً حتى صدر أخيراً بتحقيق إبراهيم أحمد المقحفي بمشاركة حفيد المؤلف عبد الرحمن حسن في عام ٢٠٠٢م عن مكتبة الإرشاد بصنعاء، وذكر فيه الشاعر باحسن عند ذكره لمدينة الشحر قائلاً: (مؤلف تاريخ الشحر وصاحب الأشعار الرقيقة التي لا يزال يتغنى بها أهل المكلا والغيل والشحر في مجالس أنسهم وأفراحهم، ولا أدري هل جمعها ديوان أم لا توجد إلا في صدور الأشخاص) وظل كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) المصدر الوحيد لحياة الشاعر ليس لأهل الشحر ومحافظة حضرموت، ولكن لكل الكتاب والصحفيين ومنهم خير الدين الزركلي في كتاب (الأعلام) وعمر رضا

كحاله فـــي كتابه (معجم المؤلفين) وأصبحت مؤلفاته مصدراً للمؤرخين والأدباء ومادة لكتب الفهارس ومصادر الفكر والثقافة في اليمن.

وفـي عام ١٩٧٧م جاءت فكرة إحياء الذكرى الخمسين لوفاة الفنان في مسقط رأسه الشحر، وبدأ تجسيد الفكرة بتشكيل لجنة من عبد الله صالح حداد وعلي أبو بكر الصبان ومحمد سقاف الهدار التي واجهت صعوبات كثيرة كـان أهمها عدم الاطلاع على مؤلفاته وأخذت تتسقط أخباره وأشعاره مـن الرواة والفنانين، وكانت الحصيلة كتيب صغير طبع بآلة النسخ لا يخلو من هفوات وأخطاء، لكن المهم هو إقامة الحفل الذي جاء على شقين (أدبي وفني) وكان ذلك مساء يوم السبت ٢٤/ ٢/ ١٩٧٧م الذي بدأ بكلمات المسئولين وتوزيع ورقة عليها نبذة قصيرة عن الفنان، ثم ألقى الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف كلمة موجزة ومركزة عن الفنان، وألقى الشاعر حسين المحضار والشاعر الأديب عوض أحمد حميدان (المعلم) والشاعر سالم محمد مفلح وغيرهم من الشباب قصائد بالمناسبة، وكان هـذا هو الشق الأدبي من الأمسية، أما الشق الآخر فكان أمسية

غنائية أحيتها فرقة الشاطئ الموسيقية بالشحر، قدم فيها المطربون بالمدينة باقة مختارة من قصائد الشاعر المغناة، فاشترك الفنان سعيد عبد النعيم بأغنـيتين (سباني مهفهف) و (مايس القد) وقدم الفنان سالم سعيد علي أغنية (لك البشارة) والفنان محمد سالم بن صالح أغنية (عليك العمد) والفنان سهل محمد بن اسحاق أغنية (قال الشريف).

وقد حضر الأمسية بشقيها الأدبي والفني جمهور غفير من أهالي الشحر، وكانت أمسية لم تنسى من ذاكرة عشاق فن باحسن، وكان من نتائج هذا النشاط أن اتخذ قراراً بإحياء ذكرى باحسن مرة كل خمسة أعوام، تعثر الاحتفال الثاني بالذكرى الخامسة والخمسين بسبب رغبة لجنة الاحتفال في أن يكون على مستوى المحافظة، وأمام الإصرار نجح الاحتفال في السنة التي تليها حيث أقيم مساء يوم السبت٢٩ يناير ١٩٨٣م أي الذكرى السادسة والخمسين، وتميز الحفل بكثرة المشاركين من الأساتذة المتحدثين ونوعية الحاضرين، ففي الشق الأدبي شارك الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف بحديث بعنوان (المقامات الشعبية في مجالس

باحسن) وتحدث الأستاذ عبد الرحمن عبدالكريم الملاحي عن (باحسن الصورة والواقع) وشارك الأستاذ جعفر محمد السقاف ببحث بعنوان (باحسن من أنصار الغناء) وتحدث عبد الله صالح حداد تحت عنوان (باحسن والمهتمين بأعماله) وتحدث الأستاذ علي أبوبكر الصبان عن (باحسن في شرق افريقيا)، وألقى الشعراء حسين أبوبكر المحضار وعوض أحمد حميدان (المعلم) وعوض سالم عبدن وسالم محمد مفلح قصائد بالمناسبة، وقد جمعت كل فعاليات الندوة في كتيب صدر في مارس ١٩٨٣م على آلة النسخ، ثم صدر مطبوعاً عن دار الهمداني بعدن بعنوان (باحسن الرائد والفنان) عام ١٩٨٥م بعد أن تم حذف بعض الأبحاث وأضيف إليه بعضاً من قصائد الشاعر المغناة وكان الأجمل في شق الحفل الفني أن قدمت بعض أغنيات الشاعر بالطرق التقليدية وإن اقتصرت على أصوات الزربادي بقوالبه الثلاثة: مدخل، مخرج، وموزعي، وقدمت أخريات بإيقاعات ساحلية (بحري) وأخرى بإيقاعات الزفة الدوعنية وقد شارك فيه الفنانان سالم سعيد علي ومحفوظ محمد بن بريك،

وعلى أثر ذلك تكونت فرقة فنية شعبية أطلق عليها فرقة (باحسن الشعبية) وكان على رأسها الفنان الكبير سعيد عبد النعيم والتي اعتمدت على الآلات الإيقاعية وآلة القصبة كآلات تقليدية متوارثة، وكانت هذه الآلات من اللاتي استخدمها باحسن وصحبه ومن سبقهم.

وقدمت هذه الفرقة العديد من الأغاني لباحسن وغيره من محافظة حضرموت ومن بقية المحافظات اليمنية الأخرى ومن خارج اليمن وسجلت لتلفزيون عدن وشاركت في أكثر من حفل منها على صعيد المحافظة ومنها مهرجان الأغنية الشعبية ومهرجان الموشح اليمني وكان ذلك بعـدن، قدمت تلك الأغنيات على أصوات الطرب القديمة: كصوت الزفين وأصوات الزربادي وأصوات الاستماع والزفة والأصوات الشعبية المستخلصة من إيقاعات الرقصات الشعبية، وهذه الفرقة لم تلقَ أي اهتمام يذكر، فلم تستمر أكثر من عامين وانتهت إلا أن عناصرها لازالوا أحياء وبالإمكان إحياءها ولن يتطلب الأمر إلا البسيط من الاهتمام والدعم.

إن مما أفتخر به وأعتز أن يتاح لي الإشراف والمتابعة وتنظيم هذه الاحتفالات في ذكرى الفنان الملحن الشاعر الأديب عبد الله محمد باحسن لقد اعتمد المحتفون لإحياء ذكرى باحسن على كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) للسقاف، وهو أول من ترجم باحسن كما نظن، وقد أشار بأن وفاته ٢٢ربيع ثاني عام ١٣٤٧هـ، وعلى أثر استلامي لكلمة الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف التي ألقاها في الذكرى الخمسينية، وجدت أن هناك رواية أخرى تفيد بأن وفاته ١٧ربيع ثاني ١٩٤٧م، ولما اطلعت على كتابه التاريخي (النفحات المسكية) وجدت على غلافه (وكانت وفاة جامعه في ربيع ثاني لعله لأربع وعشرين ليلة مضت منه سنة ١٣٤٧هـ) لكن على ما نظنه الورقة الأخيرة من الديوان ما يلي (توفي العم عبد الله محمد باحسن في بندر الشحر يوم الإثنين الساعة التاسعة عربي (توقيت غروبي) عصراً، ٢٧ شهر ربيع ثاني سنة ١٣٤٧هـ). ونلاحظ أن الجميع متفق على الشهر والعام، وبالرجوع إلى جداول وتقاويم السنين وما يوافقها من السنين الهجرية والميلادية، رأينا سقوط رأي السقاف لأن يوم الإثنين لا يمكن أن

يكون ٢٢ربيع ثاني لعدم الدقة في قوله (لعل) أما الرواية الثالثة فهي في رأينا الأصح لأنها بقلم زوج أبنة الشاعر محمد عبد الله الهدار، ولأن الديوان كان بحوزته حتى آل إلى الهيئة العامة للآثار، ثم إنه يتفق وجداول التقاويم فيوم الإثنين هو ١٧ربيع ثاني ١٣٤٧هـ ويوافق ١أكتوبر١٩٢٨م وهو ما نرجحه.

الختـــام :

وبعد فهذه محاولة للتعريف بالفنان الملحن الشاعر عبد الله باحسن، الذي لم يؤخذ حقه كعلم، وكان من أهدافي أن يتحمس من لديه إمكانية دراسة جوانب هامة من حياته، وحياة مـن عاصره، وخاصة الناحية الفنية التي لم يعطها أحد أي اهتمام، وكان نشاطه الفني بمعية جماعته شكلت مدرسة فنية كبيرة تركت تأثيراً عميقاً على المراحل اللاحقة نقلها إلينا تلاميذ تخرجوا منها، وقد تفضل الأستاذ المؤرخ سعيد عـوض باوزير بذكر أغلبهم في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي)، لكننا نضيف ما رواه لنا المؤرخ المحلي الشيخ سالم هلال الحبشي وكان من جماعة

باحسن، الذي رأى بنفسه الفنان العظيم محمد جمعه خان أكثر من مرة، وهو يقوم بزيارة الفنان عبد النعيم خميس في داره بالشحر وهو عضو أساسي لجماعة باحسن الفنية، وبهذا نستطيع القول بأنه قد كرع بنفسه من المعين الخالد أبداً.

لقد كان باحسن رحمه الله محباً لمسقط رأسه مدينة الشحر، وقد ذكرها كثيراً في قصائده ومنها إشارته إليها في أغنيته (ما بهند فتنتن بل بسعاد)، وكان محباً لفن الأغنية وقاسى في سبيل ذلك كثيراً، ولم تكن هذه المحاولة والاحتفاء به وبذكراه إلا بعضاً من جميل نسديه إليه.

إن هذا العمل سيحقق نسبة كبيرة من النجاح لو رافقه تدوين موسيقى لكل ألحان القصائد المغناة، ولكن هذا جهد المقل.

وأخيراً أقدم شكري لكل الذين كتبوا عن باحسن وعما يتعلق بمحاولتي هذه، فقد أغرت على كتاباتهم، وأخص بالذكر أستاذي محمد عبد القادر بامطرف الذي اعتمدت عليه اعتماداً كلياً من خلال كتبه

المخطوطة والمطبوعة ومحاضراته ومقابلاته الصحفية وأحاديثه المباشرة ورسائله الشخصية ووثائقه الخاصة، كما أشكر الدكتور سعيد سالم الجريري والراوي عبد الله عمر الحضرمي اللذان استعنت بهما.

ولا أنسى الأستاذ / بدر جعفر بن عقيل رئيس تحرير (شبام) والطاقم الذي يعمل معه فلولاهم لما نشر ما بين أيدينا الآن.

عبد الله صالح حداد